٣

الفصل الثالث

الفن والأزياء بالقرن السابع عشر

- **مقدمة عن الطراز الباروكي .**
- **طبيعة الفنون التشكيلية الباروكية .**
  - فترة الباروك الروماني .
  - فترة الباروك الفرنسي .
- **العلاقة المتبادلة بين فن الأزياء والفنون التشكيلية الباروكية .**
  - فن العمارة .
  - فن النحت .
  - فن التصوير .
  - الفنون الحرفية .
  - الزخارف الباروكية .

مقدمة عن الطراز الباروكي

يعتبر الطراز الباروكى من الطرز الفنية التى تزخر بتاريخ فنى عظيم يمثل حضارة عريقة ومدنية زاخرة ، لها قواعدها وقدمها الراسخ فى مختلف أنواع الفنون التشكيلية المتواجدة فى القرن السابع عشر ، والذى كان الغرض الأساسى منه إظهار العظمة والفخامة والأبهة المبالغ فيها . هذا بالإضافة إلى أن الطراز الباروكى له آثاره الخالدة التى امتدت وإستمرت فى القرون التالية للقرن السابع عشر .

طبيعة الفنون التشكيلية الباروكية

- فترة الباروك الرومانى أو الدولى ١٦٠٠ : ١٦٦٠

Roman Baroue (Interantional Baroque Style)

فى هذه الفترة انتهى الصراع بين الباروك والمانرزم بإنتصار الباروك ، ونهاية تشويش وجنون حركة المانرزم فى سنة ١٦٢٠ . واصطباغ فن الباروك فى روما بصبغة دولية (Van Schaack-1964-5) (Squire-1974-7,10)، وبدأت روما فى نهاية القرن السادس عشر تستعيد الأمجاد التى فقدتها فى بدايته ، وكان الثراء قد أخذ يفد إليها من الشرق ومن القارة الجديدة ، وكان تنظيمها الإدارى يدعو إلى إنشاء القصور والأديرة والكنائس ، وكانت الاحتياجات الفنية عديدة ومتشعبة بعد أن فتح عصر النهضة فى القرن السادس عشر آفاقاً رحيبة للتعبير الفنى (بدر الدين أبو غازى - د.ت - ٣٤٠) ، وأوجدت بها حركة الإصلاح الدينى المضاد فى القرن السابق فناً مكرساً لرفعة الدين وتأكيد سلطة الكنيسة الكاثوليكية «فن الباروك» كما سبق ذكره ، وقد انتقل هذا الفن بعمارته ونحته وتصويره ذو الرونق والبهاء ، إلى جو أكثر براحاً ويزيد فى عاطفيته عما عرف من قبل (برنارد مايرز - ١٩٥٨-٣٦١) ، متجهاً بذلك اتجاهاً حسياً زخرفياً مادياً بالمعنى التقليدى للفظ الباروك .

لذلك فقد أصبحت رسالة روما الآن هى أن تبدو فى أروع مظهر ، لابوصفها المقر البابوى فحسب ، بل بوصفها عاصمة المسيحية الكاثوليكية وعاصمة العالم الفنى أيضاً ، وهكذا أخذت تسود فن الكنيسة بدورها صفات

الفخامة والأبهة التى تميز فن البلاط ، وعلى حين أن أسلوب المانرزم كان مضطراً إلى أن يكون صارماً ، زاهداً ، مرتبطاً بعالم آخر ، فإن الباروك كان مسموحاً له بإتباع طرق أكثر تحرراً وأقرب إلى الحسية (أرنولد هاوزر – د.ت – ٤٨٦) ، ليعبر بذلك عن استعادة الكنيسة لسلطتها الروحية والزمنية ، ويقرب بين القيم البشرية والروحية ، ليعمل بذلك على تدعيم ايمان المزعزعين ويجلب إناساً جدد إلى حظيرة الإيمان ليكونوا عوضاً عن الخسائر التى تكبدتها الكنيسة أثناء حركة الإصلاح المضاد (برنارد مايرز – ١٩٥٨–٣٦١) .

ولذا فقد بالغت الكنيسة فى الكشف عن ثرائها الدنيوى ، وتصوير أمجاد السماء التى تشيد إليها القلوب عن طريق تسخير الفنون لخدمتها ، وخاصة فنون التصوير ، والعمارة التى أصبحت بفضل جماعة اليسوعيين «الجيزويت» القوية النفوذ تشع البهجة فى النفوس ، فغمرت الكنائس بالألوان البراقة والزخارف المفرطة التى تبدو لنا اليوم فى جمال الديكورات المسرحية ، وهجرت الكنيسة أسلوب عصر النهضة فى القرن السادس عشر الذى نادى بتحكيم العقل فى تحديد أثر العمل الفنى ، وآثرت فى عصر الباروك ضخامة الحركة الألوان الصارخة فى العمارة والتصوير مع ابراز التأثيرات القوية للضوء والظلال . (ثروت عكاشة – د.ت – ١٣٢) ، كأنما أراد هذا الفن بإفراطه المبهر أن يمجد الأبهة الأرضية إلى درجة الخلط بينها وبين لانهائية ما فوق الطبيعة ، وبذلك يضفى الإحساس باللانهائية (نقولا ناهض – ١٩٨٥–٣٥٠٨) .

وبدأت الآن فى روما فترة من أكثر فترات الإنتاج الفنى غنى وترفاً ووفرة، أسفرت عن تشييد عدد من الكنائس الكبيرة والصغيرة ، وإنتاج عدد من صور السقوف وقطع المذابح ، وتماثيل القديسين ونصب القبور ، والمعابد وقرابين النذور يفوق ما أنتج فى أى عصر سابق . ولم تكن هذه الموجة الجديدة من الإزدهار ، التى يرجع الفضل فيها إلى إحياء الكاثوليكية ، مقتصرة على فروع الفن الكنسية وحدها ، إذ أن البابوات لم يكتفوا بتشييد كنائس رائعة ، بل إنهم شيدوا أيضاً لأنفسهم قصوراً وبيوتاً خاصة وحدائق رائعة . كذلك فإن الكاردينالات المقربين إلى البابا ، الذين أخذوا يزدادون تشبهاً بأسلوب الأمراء فى طريقة معيشتهم ، كانوا يشيدون مبانى لاتقل ترفا عن السابقة . وهكذا فإن الكاثوليكية التى يمثلها البابا وكبار رجال الدين ، أخذت تزداد بالتدريج اصطباغاً بالصبغة الرسمية والبلاطية . وفى عهد «ايربان» الثامن ، وهو البابا الذى ينتمى إلى أسرة باربرينى ، أصبحت

روما هى مدينة الباروك كما نعرفها الآن . وظلت روما هى المسيطرة على كل نواحى الحياة الفنية فى إيطاليا ، وكانت هى مركز الفنون لأوروبا الغربية بأسرها . ولقد اصطبغ فن الباروك فى روما بصبغة دولية ، شأنه شأن الفن القوطى الفرنسى، فهو يستوعب فى داخله كل القوى المتوافرة ويجمع فى ذاته كل الجهود الفنية الحيوية لذلك العصر فى أسلوب واحد كان يعد عصرياً فى جميع أرجاء أوروبا . وبحلول عام ١٦٢٠ كان أسلوب الباروك قد سيطر آخر الأمر على روما وعلى كافة الفنون التشكيلية بها (أرنولد هاوزر – د.ت – ٤٨٦ ، ٤٨٧) .

ومن إيطاليا الموطن الأصلى للباروك انتشرت هذه الحركة فى جميع أنحاء أوربا ، وأثرت على الأزياء كمثل تأثيرها على كل الفنون التشكيلية بها ، واختلفت درجات تأثيرها فى البلاد ، فكانت أقل وضوحاً فى الأقطار المنخفضة (إنجلترا ، شمال ألمانيا ، اسكندنافيا) ، وأكثر وضوحاً وتأكيداً فى البعض الآخر (فرنسا ، الفلاندرز ، أسبانيا ، ومنتصف أوربا) ، وقد كانت فرنسا من البلاد التى تأثرت سريعاً بفن الباروك الرومانى وذلك لأنها كانت من أكثر الدول إتصالاً بإيطاليا فى عصر النهضة فى القرن السادس عشر ، كذلك فقد اختلف روح المناخ الخاص بها، فكانت أكثر عقلانية فى باريس بسيطة فى مدريد ، وتميل إلى الإفراط الشديد فى روما (Boucher-W.D-251).

ويعد بذلك الطراز الباروكى الرومانى فترة وسطى بين فترتين منطقتيين ، وهما النهضة والباروك الكلاسيكى ، حيث تميز الفن الباروكى الرومانى فى هذه الفترة بالجمع بين الكلاسيكية وبين التحول الخيالى الغير عقلانى ، متجهاً بذلك اتجاهاً حسياً زخرفياً مادياً بالمعنى التقليدى للفظ الباروك ، ومنتشراً بسماته الفنية المميزة فى جميع الفنون التشكيلية لهذه الفترة ، مشكلاً بذلك وحدة فنية بين جميع الفنون المتواجدة فى ذلك التوقيت (Carlo Argan-1989-10).

فترة الباروك الفرنسي أو الكلاسيكى ١٦٦١ : ١٧١٥

French Baroque (Classical Baroque Style)

فى هذه الفترة تضاءلت قوة وحيوية إيطاليا وذلك لاضمحلال نفوذ الهيئة البابوية وازدياد فقر روما بالرغم من تأثيرات الباروك العالية التى استمرت فى القرن الثامن عشر ، تحول مركز عالم الفنون من إيطاليا إلى فرنسا تلك الدولة التى نما فيها البناء السياسى الأكثر تقدماً فى ذلك العصر وهو الملكية المطلقة ، والذى

كان الإنتاج الفنى فيه يمتلك أعظم الموارد ، وقد أطلق الدوق «دى بويون» على باريس اسم عاصمة العالم فى حوالى منتصف القرن ، وبالفعل لم تكن فرنسا فى ذلك الوقت أهم دول أوربا سياسياً فحسب ، بل كان لها السبق أيضاً فى كل شئون الثقافة والذوق (أرنولد هاوزر – د.ت – ٤٨٨) .

وقد وضحت استعارة الفنانين الفرنسيين من إيطاليا كثيراً فى أفكارهم ، ولكن بدأت شخصية الفن الفرنسى تتأكد تحت قيادة الكاردينال ريشيليو وذلك من سنة (١٦٢٤ : ١٦٤٢) ، حيث كانت هناك طاقة كبيرة للتجديد ، فالروح الهامة للفنون والنزعة العاطفية التى كان قد قدمها الباروك الرومانى ، قد وجهت بالتدريج إلى اتجاه جديد وذلك تبعاً للإختلافات فى قومية البلد والمزاج والطبيعة الخاصة بالشعوب وفى عهد لويس الرابع عشر ازداد الاهتمام بالفنون ، وإبراز الطابع الفرنسى ، فعنى لويس ووزيره كوليبر بالفن وأدركوا أهميته فى تدعيم وتعزيز الملكية المطلقة والسلطة فى البلاد ، ولذا فقد استعان الملك بالفنانين الإيطاليين لتعليم الفرنسيين أصول الباروك (Squire-1974-93) .

وقد فضل الفرنسيون تسميته طراز لويس الرابع عشر عن تسميته بطراز الباروك حيث أن طراز لويس الرابع عشر يعكس طراز الباروك الإيطالى بعد تطويره ، لذلك أطلق عليه الباروك الكلاسيكى ، حيث كانت الكلاسيكية هى طراز البلاط الرسمى ، إلا أن جذورها نشأت من التقاليد التى كانت منتشرة فى القرن السادس عشر (محمد على أبو ريان ١٩٧٠–١٧٩) ، وجوهر النزعة الكلاسيكية فى الباروك الفرنسى ، هو التنظيم الدقيق والتحدد ومبدأ التركيز والتكامل .

حيث أرادت النزعة الكلاسيكية بذلك أن تجعل للفن طابع موحد كالدولة ، ليؤدى إلى إحساس بالكمال الشكلى كحركة طابور من الجند ، وأن يكون واضحاً ودقيقاً ، كأنه مرسوم ملكى ، وأن تحكمه قواعد مطلقة كحياة كل فرد فى الدولة (أرنولد هاوزر – د.ت – ٤٩٤) . وقد ظهر ذلك فى الفنان بوسان "Poussin" ١٥٦٥–١٥٩٤، فى عهد لويس الثالث عشر وقد عينه الكاردينال ريشيليو والملك ، كأحد أقطاب النزعة الكلاسيكية .

ويتبلور طراز الباروك الكلاسيكى حول معنيين ممتزجين وهما الاستبدادية والأكاديمية .

الاستبدادية :

كان الكاردينال ريشيليو هو أول من وضع مفهوم الاستبدادية ، ولكن هذا المفهوم قد بلغ ذروته على يد «لويس» الرابع عشر كممثل للملكية الاستبدادية والدولة المركزية . وكما أن الاستبداد السياسى كان يعنى توحيد كافة المؤسسات الاجتماعية والحكومية تحت سيطرة شخص واحد ، كذلك كان الاستبداد الجمالى يقتضى تجميع كل الفنون فى إطار عام . وبينما استطاع هذا العهد تشييد المبانى وانجاز التماثيل والصور والأعمال الأدبية التى تشد الاهتمام كل على حدة ، إلا أنها شكلت فى تألفها وتجمعها ملحمة متماسكة بالغة التأثير (ثروت عكاشة ١٩٨٨-١٥٧ ، ١٥٨) .

الأكاديمية

ومع أن الحركة الأكاديمية قد بدأت رسمياً بتأسيس أول أكاديمية فرنسية خلال عهد «لويس» الثالث عشر ، ولكن قد كان هناك اتجاه متحرر نسبياً لايزال يسود الحياة الفنية ، ولم يكن الفنانون قد أصبحوا بعد تحت وصاية الدولة ، ولم يكن قد ظهر بعد انتاج فنى تنظمه الحكومة ، كما لم يكن هناك قبول عام لقواعد تفرضها الدولة ، ولكن أراد «لويس» الرابع عشر كممثل للنزعة الكلاسيكية الرسمية أن يضع حداً لكل حرية فنية ولكل محاولة من أجل تحقيق نوع من الذوق الشخصى فى جميع الفنون وبصمة مميزة لكل الإبداع الفنى الذى يشكل الذوق العام (أرنولد هاوزر - ٤٩٢ ، ٤٩٣) .

ولذلك فقد تعددت الأكاديميات الفنية فى عهد الملك «لويس» الرابع عشر ، كأكاديمية التصوير والنحت ، وأكاديمية العمارة ، وأكاديمية روما التى تأسست أخيراً فى سنة ١٦٦٦ ، والعديد من الأكاديميات فى المجالات الأخرى ، حيث عهد إلى الأكاديميات بتحديد التعريفات الجمالية والقواعد الفنية والوسائل التقنية المتعلقة بتخصصاتها (ثروت عكاشة - ١٩٨٨-١٥٨) (ارنولد هاوزر - د.ت - ٤٩٦) وبذلك استطاعت الأكاديمية ترويض الحماسة والحيوية والغزارة الباروكية وإخضاعها للقواعد الصارمة التى لاتبيح أى انحراف عنها ، ولذلك أطلق على الفن الأكاديمى الفن الكلاسيكى (ثروت عكاشة - ١٩٨٨-١٥٩) .

وفى ظل هذه النزعة انتقلت السيادة الفنية من إيطاليا إلى فرنسا واستقرت بها حتى الآن ، وبذلك بعد أن منح للباروك الإيطالى خمسين سنة تقريباً من

السيطرة الفنية فى هذا القرن ، سيطر الباروك الفرنسى على جميع فنون هذه الفترة فى إطار واحد مترابط ومتكامل ، يجمع بين الباروك الإيطالى والنزعة الكلاسيكية للبلاط الفرنسى (Boucher-W.D-252) .

العلاقة المتبادلة بين فن الأزياء والفنون التشكيلية الباروكية

إن الدراسة التاريخية لتطور الأزياء باعتبارها أحد عناصر الحضارة الإنسانية ، لاتغفل أهمية دراسة الفنون التشكيلية المختلفة من عمارة ونحت وتصوير ..، حيث تعكس الفنون كلها روح الثقافة العامة والطراز السائد فى ذلك الوقت ، وتوضح الذوق العام والمثل الجمالية السائدة (سلوى هنرى – ١٩٨٢– ١٢) . وفن الأزياء كأحد الفنون التشكيلية الهامة ينطلق متأثراً بالطراز العام لأى عصر ، ويرتبط بغيره من الأشكال الفنية الأخرى التى تظهر فى المناخ الثقافى والحضارى فى فترة ما .

ويمثل القرن السابع عشر قمة ازدهار الطراز الباروكى ، الذى أصبح له علاقة وثيقة بكل مجالات الحياة . حيث اتجه الباروك إلى تحويل كل شىء فى الحياة إلى الخيال وذلك بإستغلال القيم المادية الملموسة فيه وتحويلها إلى الخيال فى وسط زهو وجمال العالم المحيط ، وروح الطراز الباروكى التى افتنت المعماريين ، والنحاتين ، والرسامين ، أثرت فى الأزياء تلقائياً واستثمرت الموضة هذا الطراز الجديد (Squire-1974-83)، وذلك لوجود توافق وانسجام لاريب فيه عمل على إقامة علاقة بين فن الأزياء وفن الباروك لإتجاه كل منهما للخيال والإبداع مستعيناً بالقدرات الإبداعية والبراعات الفنية الفائقة (Batterberry-1982-251) .

وقد عكست أزياء القرن السابع عشر روعة وجمال ذلك الطراز الفنى الجديد (طراز الباروك) ، وذلك بترفعها عن كل قيود ، وتأكيدها الشديد على الحرية والحركة وذلك بإنتقاء التفاصيل الواضحة وتأكيدها وإلقاء الضوء عليها وإبرازها عن طريق تصميماتها التى تظهر جمال استدارة الخطوط الباروكية الجريئة القوية المتداخلة ، والخامات المستخدمة بزخارفها الباروكية المتقنة هذا بالإضافة إلى جمال وفخامة الاكسسوارات المستخدمة بإفراط شديد مع الأزياء .

(Boucher-W.D-251) (Batterberry-1982-25) (Squire-1974-83) .

هذا وقد كان هناك ارتباط وتوافق تام بين جميع الفنون التشكيلية وبين فن الأزياء فى القرن السابع عشر ، حيث نسجت جميعها فى صيغة موحدة بالغة التأثير على أنها انعكاس للطراز الباروكى . ولذلك سوف نتناول بعض هذه الفنون التشكيلية وعلاقتها بفن الأزياء فى القرن السابع عشر .

فن العمارة

يعتبر فن العمارة والنحت من أولى ميادين الفن التشكيلى التى اجتاحها الباروك (نقولا ناهض – ١٩٨٥-٣٥٠٩) ، وقد اتسمت العمارة بالتنوع والتصميم المركب ، وبالمبالغة فى العناصر الزخرفية مع الاحتفاظ بالقوة والفخامة التى ابتدعها ميكل انجلو (بدر الدين أبوغازى – د.ت – ٣٣٩) .

وقد عزفت العمارة عن الخطوط المستقيمة وعن قواعد النسب والتوازن الكلاسيكية ولجأت إلى الإستدارات والإفراط فى الزخارف ، والنقوش المتعددة والمتنوعة ، وضخامة الأحجام التى جمعت بين الأعمدة الكورنيثية الكلاسيكية بخطوطها المستقيمة ورشاقتها الدقيقة ، وبين الأركان المستديرة والمربعة والمستطيلة .

وتتجلى عظمة الطراز الباروكى المعمارى فى استخدامه لخامات متنوعة بألوان متعددة ، فاستخدم الرخام بالألوان المتعددة ، والأحجار ، والمرمر ، والذهب، والبرونز بألوانها الجميلة المتألقة وقد كان لكل ذلك أثر كبير فى إكساب الهندسة المعمارية الإكبار والأبهة (ثروت عكاشة – ١٩٨٨-١١٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧) (محمد مصطفى عزت – د.ت – ٣٠) .

ومن أهم الآثار المعمارية لهذا العصر كنيسة القديس بطرس بروما الذى صممها بورومينى لوحة رقم (١) ، وقصر فرساى وبهو المرايا الشهير بفرنسا التى شادها مهندس العصر مانسار اللوحتان أرقام (٢) ، (٣) .

وبالنظر إلى الأزياء الباروكية بالقرن السابع عشر نجد إنها اتجهت نفس الاتجاه المعمارى الباروكى . فعرفت الأزياء الباروكية عن قواعد النسب والتوازن الكلاسيكية ولجأت إلى الإستدارات أيضاً ، فتميزت الأزياء بالخطوط اللينة المستديرة التى ظهرت فى فتحات الرقبة الدائرية الشكل ، والمجوفة إلى أسفل الأمام تاركه الثدى يكاد أن يكون عارياً تماماً ، مؤكدة بذلك على الشكل المتنفخ

الدائرى الطبيعى للجسم . اللوحتان أرقام (٢٢) ، (٣٥) ، والأشكال أرقام (١٧) ، (٢١) ، (٢٤) ، (٢٦) ، (٢٧) .

كما تأكدت الإستدارة التامة من خلال طوق العنق الدائرى ، وشكل الأكمام المستديرة الضخمة ، بالإضافة إلى الشكل القمعى العميق للأساور الذى يكشف عن جمال استدارة الأيدى الطبيعية اللوحات أرقام (٢٣) ، (٢٥) ، (٢٦) ، (٢٧) ،(٣٣) .

بالإضافة إلى ذلك فقد أكد خط الوسط الدائرى المرتفع الإحساس بالإستدارة التامة ، والخطوط الطبيعية للجسم ، وقد أدى ذلك إلى صغر حجم حشو الأرداف التى اختفت تماماً فى بعض الأحيان ، وبذلك أخذ الجزء السفلى من الملبس أيضاً الشكل اللين المستدير المدعم بالعديد من الجيبونات . وقد ظهرت النساء وهى تجذب الجونلة العليا إلى أعلى فيشكل ذلك العديد من الإنحناءات الدائرية فى الخلف مؤكدة بذلك على أسلوب الباروك شكل رقم (٢٠) .

وظهرت الضخامة المتميزة للطراز الباروكى فى شكل تجمعات غريبة فى الأزياء ككتل ضخمة مزخرفة بإفراط شديد ، فى شكل الأكوال المسطحة والأساور وأطواق العنق الدائرية الضخمة ، وكانت هذه الكتل بارزة وواضحة عن طريق ألوانها الفاتحة والخامة المستخدمة بها . اللوحتان أرقام (٣٣) ، (٣٤) وقد ظهر بها الإفراط الشديد فى الزخارف المتداخلة فى خامة الدانتيلة المزينة لها حيث تميزت الدانتيلات الإيطالية بزخارفها النباتية الباروكية الملتفة والمتداخلة مع خطوط «الأرابيسك» (*) الواضحة ، وكانت هذه الزخارف متشابه مع الزخارف المستخدمة فى فن العمارة .

وقد بالغت النساء فى ضخامة أحجام أزيائهن ، وذلك فى شكل العباءة المفتوحة التى كانت ترتديها فوق الفستان ، ويتوجها من أعلى برفع مدعم بسلك ضخم جداً من فوقها ليؤكد بذلك على أسلوب الباروك واشتراكه فى إبراز الكتلة فى الملبس شكل رقم (٢٣) .

(*) الأرابيسك : هي الأشكال والخطوط اللينة الملتفة التي يمكن تأويلها إلي أغصان الشجر الصغيرة استخدمت أساساً في الفن الإسلامي ومنه اشتقت كلمة آرب نسبة إلي عرب المسلمين.

هذا وقد جمعت أزياء النساء فى ضخامة أحجامها بين دقة وصلابة الأسلوب الكلاسيكى وبين ليونة وغزارة الأسلوب الباروكى .

وقد ظهر ذلك فى تصميم الخط الخارجى للكورساج الذى ازداد فى الطول متخذ شكل مستقيم كلاسيكى جامد ، ومشكلاً الرقبة بالشكل المربع ، اللوحات أرقام (٢٣) ، (٢٤) ، (٤٤) ، (٤٥) وبالشكل المستقيم والبيضاوى عبر الأكتاف اللوحات أرقام (٣٩) ، (٤٠) ، (٤١) مع زيادة ضخامة الجزء السفلى من الجسم كما أخذت أغطية الرأس (الفونتاج) شكل رأسى ضخم مدرج فوق الرأس اللوحات أرقام (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٩) ، (٥٠) ومع كل هذه الكلاسيكية التامة جمعت الأزياء بينها وبين ليونة وغزارة الأسلوب الباروكى فى أسلوب الزخرفة وتنوع الخامات المستخدمة بألوانها المتعددة بأسلوب فى غاية الروعة والجمال ومشابهة تماماً لما استخدم فى فن العمارة .

فاستخدمت الأزياء خامات متنوعة بألوان متعددة ، حيث أصبحت الأكمام المستقيمة للفستان تنتهى بأساور عريضة بشكل دائرى متهدل من أدوار الكشكشات الدائرية المصنعة بخامات مختلفة من الحرير والشيفون والدانتيلة ومزينة بفيونكات الشرائط والتى تنتهى فوق الكوع لتظهر جمال الإستدارة الطبيعية للذراع اللوحات أرقام (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٩) .

كما أستخدمت نوعيات الزينة المختلفة بإفراط شديد وبشكل كثيف جداً فى جميع أجزاء الملبس عن الفترات السابقة ليؤكد بذلك على أسلوب الباروك الفرنسى. وقد تمثل ذلك فى الإستخدام الرائع للدانتيلات والشرائط ، والأشكال المختلفة من التجعيدات والأهداب والشراريب ، وكشكشات القماش بألوان مختلفة وأيضاً فى كثرة إستخدام المعادن النفيسة كالماس والذهب والفضة مع خامات الأزياء بألوانها الزاهية الجميلة وذلك لإظهار الطابع الباروكى الفرنسى المميز .

فن النحت

قد إرتبط فن العمارة فى عصر الباروك بنشاط كبير فى فن النحت ، فكان طبيعياً أن يتجه النحت نحو هذه العمارة الباذخة ، ليكون مكملاً لها ومزيناً ، فتميز النحت بظهور مجموعات ضخمة من التماثيل المركبة التى أعدت لتزين القصور وواجهات المبانى والحدائق والنوافير بجانب التماثيل الخاصة لتخليد الشخصيات

البارزة (محمد مصطفى عزت – د.ت – ٩٣) (بدر الدين أبوغازى – د.ت – ٣٣٩ ، ٣٥٩) .

وقد تميزت المنحوتات الباروكية بالحرية والحركة المنطلقة العنيفة ، والمبالغة فى إظهار الإنفعالات وقد إستطاع الفنان تحقيق ذلك بالأردية الأنيقة والمحسنات المصاحبة لها وبالمهارة الحرفية فى الأداء (محمد مصطفى عزت – د.ت – ٨٣) . (برنارد مايرز – ١٩٥٨–٣٦٤) ، وذلك عن طريق تمييز انطباعات الملمس للخامات المستخدمة ، وإظهارها فى شكل تهدل وتطاير أرديتها ، وإستخدام الإضاءة فيها بشكل درامى ليساعد على إبراز الإنفعالات المطلوبة (ثروت عكاشة– ١٩٨٨–١١٢ ، ١١٣) .

وكما إتجهت المنحوتات الباروكية إلى الحرية والحركة المنطلقة ، كذلك إتجهت أزياء النساء أيضاً نحو الحرية والحركة والبساطة والنسب الأكثر طبيعية وذلك بتحررها من الكورساجات القمعية الهائلة الطول المدببة لسنة ١٦٠٠ ، الفارذنجيل الضخم الذى يعوق الحركة وإتجهت إلى إرتداء كورساجات الجاكت الغير مدعمة بتصميمات خطوطها الباروكية المستديرة التى تشكل الجسم بشكله الطبيعى ليظهر جمال استدارة الثدى ، كذلك يشكل الجزء السفلى من الجسم بشكل مستدير عن طريق القصات المثلثية العديدة المنتشرة أسفل خط الوسط من الجاكت اللوحتان أرقام (٢٨) ، (٢٩) .

كذلك تميزت تصميمات الزخارف الباروكية للجاكت بالحركة والحرية واللانهائية فى التصميم الذى ظهر بتداخل زخارف الطيور والنباتات الباروكية ، مع الخطوط المستديرة الملتفة بألوان جميلة زاهية ، ومطرزة بخيوط من الفضة والذهب والحرير لتظهر روعة وجمال الأشكال الباروكية المنطلقة .

كذلك فقد تميزت أزياء الحفلات التنكرية بالمبالغة فى تصميماتها التى تعطيها الحركة المنطلقة العنيفة فى أسلوب تشكيل أرديتها المتهدلة التى يتخللها الضوء والظلال بشكل درامى ، يشبه تماماً أردية المنحوتات الباروكية فإستخدمت النساء وشاحات ضخمة من قماش خفيف شفاف بألوان زاهية ترتديها حول الجسم، بحيث تتدلى وتسقط بطريقة مائلة من تحت الذراع ، وتمسك بعقدة على الكتف الآخر ، وكان ذلك يشكل العديد من الثنايا والإنحناءات المستديرة ، والطيات التى يلعب بها تخلل الظلال والضوء فى أشكال غاية من الجمال والروعة ، مؤكدة بذلك على أسلوب الباروك .

قد كان هذا الطراز من الأزياء منتشراً أساساً فى طراز الأزياء الرومانية القديمة ، وتظهر فيه الحركة المنطلقة والإنفعالات المميزة للطراز الباروكى شكل رقم (٢٧) .

هذا وقد تأثرت تسريحات الشعر للنساء فى هذه الفترة بشكل تماثيل الكارياتيد المجسمة على الأطر ذات اللفائف اللولبية الغربية ، فازدادت التجعيدات اللولبية للشعر بشكل غريب ككتل ضخمة ، كما زينت بكميات هائلة من الدانتيلات والشرائط والجواهر بإفراط شديد مؤكدة بذلك على الاتجاه الزخرفى الغزير للطراز الباروكى الشكلان أرقام (٢٨) ، (٢٩) .

وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت باروكة الشعر التى تعتبر من أهم الملامح المميزة للموضة الفرنسية فى أواخر القرن ، فى التماثيل النحتية للأشخاص يصبحها الزى الرومانى ، ويدل ذلك على اتجاه مثالى العصر إلى إستلهام واقع الحياة ممتزجاً بعناصر من الفنون الكلاسيكية القديمة .

فن التصوير

إذا كان التيار الباروكى قد إجتاح فن العمارة والنحت أولاً ، فما لبث أن جرف معه فن التصوير أيضاً ، الذى بات منطلقاً بنفس معالم البذخ الباروكى . فتميز التصوير الباروكى بالنبرات الحادة وبجنون الألوان والأشكال التى باتت تنطلق فى القباب المزخرفة داخل الكنائس والقصور بلغة مماثلة للغة العمارة والنحت . (نقولا ناهض – ١٩٨٥-٣٠٥٩) .

وقد تأثرت الأزياء بألوان التصوير الجريئة وأساليب زخرفته المبالغ فيها ، فاستخدمت النساء الألوان الزاهية البراقة وانتشرت موضة الدمسقات والخامات التى يدخل فى نسيجها خيوط الذهب والفضة بأشكال باروكية غاية فى الروعة والجمال.

وتتجلى وتظهر قمة العلاقة الوثيقة بين فن التصوير وفن الأزياء ، فى تكليف «شارل لوبران» المصور الأول للملك بالقيام بتصميم ملابس مهرجانات «لويس» الرابع عشر ، فإنطبعت أزياء المهرجانات بالألوان الزاهية البراقة التى تميز بها التصوير الباروكى . وتتضح هذه العلاقة فى تحويل مصنع جوبلان بناء على أوامر كولبير إلى مركز للصناعات الفنية لاضريب له لتزويد القصور الملكية بما يلزمها من أثاث وتحف وأدوات ونسجيات مرسمة مستخدماً فيه أمهر

المصورين والمثالين والنساجين والصياغ وغيرهم (ثروت عكاشة – ١٩٨٨ – ١٨٦) . وقد أدى ذلك إلى تشابه بين نسجيات الجوبلان المرسمة المتدلية على الحوائط بزخارفها الأنيقة وألوانها الجذابة ، وبين المنسوجات المستخدمة فى أزياء النساء .

كذلك تشابهت أيضاً أساليب الزينة المستخدمة فى نسيج الجوبلان ، مع الزينة المستخدمة فى أزياء النساء . فزينت الستائر والمقاعد والمناضد بالجالونات المعدنية الذهبية ، والفضية مع الشراريب والأهداب وشرابات متدلية منها (Dav-enport-1962-542) وقد ظهر نفس الأسلوب على الجونلات فى هذا القرن اللوحات أرقام (٤٥) ، (٤٦) .

الفنون الحرفية

هذا وقد ظهر الطراز الباروكى أيضاً على الفنون الحرفية بكافة أنواعها . فكانت الأبهة والغرابة تميزانه كذلك الأثاث والسراميك والزجاجيات والجواهر والحلى ، وكانت غرف وصالات القصور تملأ بالأثاث المنحوت والمنقوش والمذهب ، وأحياناً تكون قطع الأثاث هذه غير نافعة أو مخصصة لعمل بعض التحف ، وهذه هى حال المنضدة التى شاعت بشكل منقطع النظير فى القرن السابع عشر ، وقد انتشرت الأثاثات المختلفة ذو الحفر البديع على الخشب وزينت بالعاج وبالصدف وبالتذهيب ، وأثقلت بالزخارف الباروكية التى كانت تصنع على غرار أمثلة من فن العمارة وقد كانت أجزاء منها مكسوة بقشرة من الذهب وقد كان ذلك مشابهاً لتلك الأساليب المستخدمة فى الملابس ومكملاتها (Barton-1961-291) .

فنجد أن أغطية الرأس وتسريحات الشعر كانت مماثلة بدقة تامة لأشكال الكراسى الطويلة الغير معتادة وتصميم الشكل الخلفى للأريكة وهياكل الأسرة وذلك فى تشكيلاتها اللولبية المتداخلة والأطوال الهائلة الغير معتادة (Yarwood-1992-53)

لذلك يمكن القول أن طراز الأزياء الباروكية قد أعطى الإحساس بجمال الجسم البشرى فى شكل قصات الأزياء وإظهار جمال الليونة الطبيعية للجسم فى فتحات الرقبة والأكمام القصيرة ، والانسدال الرائع للملبس وذلك فى أشكال مرنة مستديرة عملت على كسر الحدة والإستقامة الشديدة للأجزاء الدعامية فى الأزياء

(المؤثرات الغير مرئية) وقد عملت النساء على إظهار ذلك فى العديد من البروتريهات وهى تجذب الجونلة لأعلى عند المشى لتؤكد على الشكل المنتفخ المستدير اللين لإسلوب الباروك .

الزخارف الباروكية

إن معظم الرسومات والنقوش الزخرفية التى استخدمت فى مختلف الفنون التشكيلية لهذه الفترة سواء على الجدران ، والأسقف والأعمدة ، وقطع الأثاث والأنسجة ، وغيرها من الفنون الحرفية والصناعات الدقيقة قد امتازت باللانهائية فى شكلها من جمال النسب المكونة للتصميمات ، مع تنوع أشكال وحداتها فى تحويرات وتكرارات عديدة .

فتألفت الزخارف من أشكال محورة من سيقان النباتات الملتفة والمتداخلة مع الزهور وأشكال الفاكهة ، وفى بعض الأحيان مع أشكال الطيور وبعض الحشرات وذلك فى تصميمات لولبية دائرية غاية فى الروعة والجمال ، تضفى إحساس بالحرية واللانهائية فى التكوين لوحة رقم (٢٩) (Waugh-1969-25).

كما أخذت الزخارف أشكال حليات زخرفية بشكل أفاريز الزهور يحملها الملائكة ، وشرائط من أكاليل الزهور مع أوراق النباتات الملتفة ، كما فى اللوحات أرقام (١) ، (٢) (Bazin-1985-25)، وكذلك زينت خامات الأزياء فى اللوحات أرقام (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٩) ، (٤٣) ، (٥١) بأشكال النباتات والزهور الملتفة وطرزت بخيوط الذهب والفضة .

كما تضمنت الزخارف أشكال خرافية متداخلة مع زهور ونباتات بالإضافة إلى الأشكال القصصية الهندسية المتداخلة مع العناصر النباتية لوحة رقم (٥٩) لقطعة من الدانتيلة (Ginsburg-1991-167).

وفى بعض الأحيان أخذت الزخارف أشكال رمزية كشكل زهرة الزنبق التى استخدمت كرمز فرنسى فى الزخارف والنقوشات المختلفة ، كما فى لوحة رقم (٢٣) للملكة «مارى دى مدتشى» ، حيث يوشى الفستان كله بزهرة الزنبق بحجم صغير ، وتشكل الأستوماكر بشكل زهرة الزنبق أيضاً بخطوطها الدائرية الملتفة وترصع بالمجوهرات (Davenport-1962-212).

كما انتشرت الزخارف الباروكية الفرنسية المميزة فى شكل شمعدان كلاسيكى متعامد مع أشكال لولبية راقية من النباتات ، كذلك صممت الزخارف

المؤلفة من الزهور والأوراق الملتفة فى شكل تصميمات عمودية رائعة ورصعت بالأحجار الكريمة والماسات الكبيرة الحجم ، لوحة رقم (٣٥) للملكة مارى تيريزا (Batterberry-1982-147).

بالإضافة إلى ذلك اشتملت تصميمات الزخارف على صور الكوبيد وأشكال القرون بكثرة ، وأكاليل الزهور مع قصاصات طويلة متموجة كعلم خفاق وفيونكات من الشرائط وأيضاً أكاليل الزهور على شكل نقش على حبل زينى كالفستون حيث يتألف من زخارف على أشكال أوراق وأزهار تتعلق مع قيطان وشربات . (Morris Lestor and Netzorg Kerr - 1967-134).

وبجانب كل ذلك استمر استخدام الزخارف المتواجدة على الأعمدة الكورنيثية والأيونية القديمة للعصر اليونانى الرومانى (ثروت عكاشة – ١٩٨٨– ٨١) وذلك بما تضمنه من أشكال سعف النخيل وأوراق النباتات الشوكية بأشكالها اللولبية الملتفة وزخارفها المميزة ولكن مع إسباغها بالروح الباروكية المميزة فى شكل انحناءاتها الباروكية المميزة المكسوة بالتذهيب البرونزى أو بقشرة الذهب وذلك بالنسبة للعمارة والنحت والصناعات المختلفة أما بالنسبة للمنسوجات قد أخذت نفس الأفكار ولكن بأشكال تصميمات مختلفة كما فى الشكل (٢٨) .

ونستخلص مما سبق

أن الطراز الباروكى يعتبر خلاصة موقف تاريخى لفترة زمنية تميزت بالمدنية والرقى ، وكانت بمثابة مرحلة إنتقالية من القديم إلى النهضة ولذلك تضمنت فى قواعدها ملامح رومانية بالإضافة إلى الملامح الفرنسية ، وكانت بمثابة مركز إشعاع فنى للفترات الزمنية اللاحقة إلى يومنا هذا . ومازلنا ننظر ونستمتع بتلك الفترة لما فيها من فلسفة فنية عالية ، ومن خلال دراستنا السابقة لتلك الفترة التاريخية نستطيع أن نستخلص عناصر التصميم التى اتبعها الفنان التشكيلى الباروكى كى تسهل على الدارسين التعرف على الملامح الفنية الباروكية بشكل تفصيلى مع إبراز شخصية الطراز الباروكى التشكيلى .

ومن أهم عناصر التصميم الباروكية الآتي :

- النقطة

استخدمت النقطة بشكل مستدير فى التكوينات الزخرفية المتواجدة على الكتل والمساحات ، كذلك أخذت النقطة أشكالاً مختلفة فى شكل متكرر فى

المنحيات الباروكية ، والأشكال المختلفة للشرائط الزخرفية المستخدمة فى الفنون التشكيلية المتواجدة فى ذلك الوقت .

- الخط

تميزت الخطوط الباروكية بالحرية والحركة الدائبة المتصلة فى تشكيلاتها المفعمة بالقوة وبالحيوية والغزارة ، وذلك من خلال استخدام الخطوط اللولبية الحلزونية ، الخطوط المتكسرة بأسلوب بالغ الروعة يذهل تتبعه بالعين ، وقد أعطى ذلك الإحساس باللانهائية التى هى إحدى الخواص الأولى لفن الباروك .

- المساحة

تميزت المساحات الباروكية بالإتساع الممتلى بالتقسيمات الهندسية الكلاسيكية التى تضفى عليها صفة الرصانة الوقار ، والأركان البارزة والأسطح المنحنية إلى الداخل والخارج لتبدو كأنها بدون حدود . هذا بالإضافة إلى امتلاء المساحات بالعناصر الزخرفية الغزيرة الجريئة المثيرة للإعجاب .

- الكتلة

تميز الطراز الباروكى بضخامة حجم الكتلة عن المألوف ، مع إضفاء كل تأثيرات التجسيم المستدير على الكتل الصلبة ، وذلك باهتمام الفنان بالخطوط المائلة والمنحنية والملتفة فى شكل كتل لولبية زخرفية ضخمة وقد أضفى ذلك عليها طابع الفخامة والعظمة .

وقد أتاح هذا التكوين الفرصة لخلق التلاعب بين الضوء والظلال بالطريقة المسرحية التى يتصف بها هذا الفن ، وهى استخدامه للإضاءة بأسلوب فيه طابع درامى . وبالإضافة إلى ذلك فقد أدى تضافر التقسيمات الهندسية مع بقية التفاصيل الأخرى دوراً هاماً سيطر على التصميم لتحقيق الوحدة والكمال رغم تعدد التفاصيل .

الألوان والخامات المستخدمة

تتجلى عناية الطراز الباروكى بالألوان وذلك باستخدام نوعيات متعددة من الخامات مع الإسراف فى استخدام الخامات النفيسة كالذهب والفضة والترصيع بالأحجار الكريمة وذلك بما يتماشى مع إظهار الهدف الأساسى من الأبهة

والعظمة والفخامة التى تميز ذلك الطراز الفنى ، وذلك فى مختلف أنواع الفنون التشكيلية .

فن العمارة والنحت

إستخدم الفنان الباروكى الرخام بأنواعه المختلفة المتعددة الألوان ، من الأبيض الناصع المصقول ، وألوان سن الفيل بدرجاتها المختلفة إلى الرخام الملون المتعدد الألوان بدرجاته الزاهية كالأخضر وغيره من الألوان هذا بالإضافة إلى إستخدام المرمر والأحجار بدرجاتها اللونية المختلفة كذلك إستخدام الآجر والجص والطين المحروق بدرجاته البنية الداكنة .

كذلك يهيمن طراز الباروك الذى كانت تنطوى عليه المبانى من الداخل على أعمال الأثاث والنحت وكثير من الصناعات الصغيرة والدقيقة المزينة لها من الداخل فإنتشر الأثاث ذو الحفر البديع على الخشب ، وزين بالعاج ، وبالصدف ، والأبنوس وبالتذهيب .

كما إستخدموا الفضة المزججة ، النحاس ، القصدير ، الكريستال ، والبرونز فى الزخرفة الداخلية والخارجية للعمائر وفى كثير من الصناعات ، هذا بالإضافة إلى زخرفة الأسقف بالزخارف والتصاوير والمنحنيات الباروكية المكسوة بقشرة الذهب ، وبنقوشات من الجص المذهب هذا مع نسجيات الجوبلان المرسمة المتدلية على الحوائط ذات الزخارف والألوان الأنيقة الجذابة .

فن الأزياء

فقد تنوعت الخامات المستخدمة فاستخدمت النساء الحرير ، الستان ، القطيفة ، الأقطان بألوان متعددة (كما سبق ذكرها فى الخامات الباروكية) وذلك بنقوشات مختلفة ، وكان اللون الأرجوانى والبنفسجى والقرمزى المطرز بخيوط الذهب ، أو بخيوط الفضة من الألوان المفضلة لديهم .

كذلك تنوعت الخامات المستخدمة فى الزينة ، فإستخدمت النساء الشيفون والدانتيلة وفيونكات شرائط ، والأشكال المختلفة من التجعيدات والأهداب والشراريب وكشكشات القماش بألوان مختلفة ، هذا بجانب إستخدام المعادن النفيسة والترصيع بقطع الماس والأحجار الكريمة .